

اذا سقطت بليك .. فمن المسؤول؟

قبة السهروردي التاريخية تتآكل.. والخط السريع زاد الطين بلة

احمد الاخرب
تصوير / نهاده العزاوي



عظيم ،ثم تولى مشيخة عدة ربط للصوفية كرباط الزوزوني ورباط المأمونية (من كتاب وفيات الاعيان) ثم انه اصاب حظوة لدى الخليفة العباسي الناصر لدين الله واصبح سفيراً له الى الملوك والامراء ذلك ان هؤلاء الملوك الذين يرد عليهم يبالغون منه ،فان الاهتزازات التي تسببها السيارات تعمل على تخريب سطح التربة ،انه لامر غريب ان يمتد الجسر السريع بين هذه القبة التاريخية ، وبين الباب الوحيد المتبقي من ابواب بغداد العباسية، الم يفكر المهندسون بخطورة عملهم هذا؟

الشيخ من هو؟

الشيخ عمر بن محمد بن عمويه السهروردي ،شهاب الدين ابو حفص،وُلد سنة ٥٢٩ هجرية- ١١٤٤ ميلادية في سهرود (قرية في جبال زنجان -معجم البلدان) واليهما ينسب،ومما ان بلغ السادسة عشرة حتى غادرها الى بغداد مصاحباً عمه الشيخ ابا النجيب السهروردي والشيخ عبد شينى القادر الجيلي وعنهما وعن غيرهما من العلماء اخذ علوم عصره (عن كتاب وفيات الاعيان) ويعد ان بلغ من العلم المبلغ الذي يؤهله لتصدر مجالس العلم ،اخذ في عقد مجالس وعظ ،اصاب شهرته من خلالها،حيث كان عليه قبول

ففي مكان اخر
واخيرا سوف اعرف سر هذه القبة ومن صاحبها؟ وسوف اكشف جزءا من تاريخ مدينتي الحبيبة ،لقد وصلت اولا الى هيئة التراث والاثار ومعني وثيقة من الصحيفة تبين غاية التحقيق الذي توجهت اليه، قبل ان ادخل الى البناية سوف يفشني الحرس من راسي حتى اخمص قدمي ،لايأس انه امر قد اعتدت عليه،المهم ان انجز المهمة الموكلة الي على احسن صورة ! توجهت الى المهندس الذي قيل لي انه يمكن ان ينفعني ،ولكنه بدا مترددا ،قال انهم قد منعوا التصريح الى اية صحيفة الا بامر مخول ، فكان علي ان اترك الكتاب عند سكرتيرة المدير العام لهيئة الآثار والتراث وانتظر يومين !

عندما وصلت بعد يومين وجدت ان المدير العام قد وافق على اجراء اللقاء وهمش على ظهر الطاب كاتباً اسمين لشخصيتين كل منهما يحمل شهادة دكتوراه، استاذة واستاذ ، وتردد الاستاذ ايضا في مساعدتي اول الامر فحولني الى الاستاذة ،ولكنها ارجعتني الى الاستاذ الاول، والوقت يمضي ،وقارب وقت الدوام على الانتهاء فكان على ان انتظر يوماً اخر! لقد قيل لي ان اكتب ماريد من استئذنه لاحصل على الجواب في اليوم التالي .

قررت ان اختصر الوقت فانتهزت الفرصة واتجهت لرؤية جامع وضريح الشيخ عمر السهروردي على الطبيعة.

في منطقة الشيخ عمر

فكرت اول الامر ان ازل عن خط المرورالسريع لاصل الى صاحب القبة المخروطية، لاني كنت اراها قريبة منه جدا ،ولكن السائق قال لي ان الأفضل التوجه الى الضريح مختصرين منطقة الشيخ عمر الصناعية ثم منطقة النهضة وازل في منطقة الشيخ عمر في الفرع الذي راينا فيه القبة العالية. فادنا احد الاطفال الى منزل الشيخ صالح المسؤول عن الضريح ،وكان الطفل متعاوناً ولطيفاً ويبدو انه اعتاد القيام بمثل هذه الخدمة ،توجهنا الى ضريح الشيخ عمر السهروردي ،كانت جدران البناء الخارجية عالية تعزل كل شيء خلفها ،وكانها ترسيد ان تحتفظ بجميع اسرارها. بعد ان فتح الباب الخارجي، دخلنا الى باحة واسعة تتوسطها بضع نخلات تتميز بالطول الباسق ، شعرت كأن نافذة فتحت على تاريخ بغداد وليالي الصوفية وتواشيجهم ،عندما سالت الشيخ صالحاً عن معنى كلمة سهروردي قال ان اسمها مأخوذ من مدينة سهرورد وهي مدينة كانت تقع في ايران ومعناها السهر والورد أي اداء الصلاة مشفوعاً بالادعية والابتهالات.

اتجهنا يساراً ودخلنا مصلى وجامعاً كبيراً ،لا يزال يستعمل حتى الان ،ثم اتجهنا سريعا الى داخل غرفة الضريح ، الذي كان مبنيا من الخشب الاسود ،ويعد ان قرأت سورة الفاتحة على روح ذلك الصوفي البغدادي الشهير ،تأثرت حينما اشار الشيخ صالح الى قبر مجاور له يقع وسط غرفة صغيرة قائلا ان فيها قبر آخر الخلفاء العباسيين، اقتربت منه لعلي ارى شيئا يدل على صاحب القبر ،لقد كان قبراً صغيراً عادياً

البنك المركزي العراقي.. بين تداول المعلومات وتداول المسكوكات!

اياد عطية الخالدي

بعد شهرين من رفض البنك المركزي العراقي الاجابة على سؤالنا بشأن كلفة وكمية المسكوكات المعدنية التي طرحت اواخر العام الماضي للتداول في الاسواق العراقية، وصلتنا اخيرا الاجابة عن سؤالنا وتم تزويدنا معلومات قيمة من قبل البنك المركزي العراقي بشأن كمية المسكوكات والكلفة الاجمالية لسكها مرفقة بجدول يبين وضعية المسكوكات ورصيد العملة المصدر منها للتداول، وقبل الخوض في تفاصيل المعلومات، فان رفض البنك المركزي العراقي تزويدنا هذه المعلومات حين طلبناها ثم اقتناعه بعد اكثر من شهرين وعدوله عن اصراره على التكتم عن هذه المعلومات بغض النظر عن أهميتها، يعطي دلالة واضحة على صعوبة مهمة الصحفي العراقي في الحصول على المعلومة المطلوبة، وعدم وجود قناة لدى العديد من الوزارات والدوائر ومؤسسات العراق على التعامل معه بشافية، بعد عقود طويلة من ادمان هذه الأجهزة الادارية نمطاً معيناً من التعامل مع الاعلام العراقي بل ان هناك وزارات ودوائر ومؤسسات تعمل على تضليل الاعلاميين العراقيين وتزويدهم بمعلومات غير حقيقية، لن نتردد عن كشفها وتشخيصها بشكل محدد.

وعوداً على قضية المسكوكات التي طرحها البنك المركزي العراقي، واصر على التعتيم غير المبرر عليها، لاحظنا ان هذا التكتم دفع احدى الصحفيات الى اطلاق كذبة سرعان ما صدقها المسؤولون في صحيفتها. يفيد ذلك التقرير بان المسكوكات المعدنية تجري اعادة صهرها وتحويلها الى المعدن الذي سكت منه، قبل ان يعلن مدير الاصدار (للمدى) ان هذه المعلومات لا تعد كونها شائعة نظراً لان قيمة المعدن الذي سكت منه القطع النقدية اقل من قيمتها. وتتضمن المعلومات التي وصلت اليها من البنك المركزي بشأن المسكوكات، ان كميتها هي ٧٥٠ مليون قطعة، (٢٥٠ مليون لكل من الفئات الثلاث ١٠٠، ٥٠، ٢٥، ديناراً وبكلفة اجمالية قدرها ١٣٠,٠٠٧,٥٠٠,٠٠٠ دولار امريكي وان الكمية المصدرة الى التداول هي ١,١٣٠,١٩٧,١٠٠ ديناراً فقط مليار ومئة ثلاثون مليوناً ومئة وسبعة وتسعون الفا ومئة دينار. وتؤكد هذه المعلومات ما كنا اشرفنا اليه في وقت سابق من ان هناك عروفاً واسعا عن التعامل بهذه المسكوكات بين المواطنين، بسبب ارتفاع قيمة البضائع والخدمات عن قيمة عملة المسكوكات المصدرة الى التداول ويظهر من كمية المسكوكات المصدرة الى التداول بالقياس الى الكمية التي تم سكها، ان معظم الكميات ما زالت في خزائن البنك المركزي العراقي، وهنا يبرز سؤال مهم عن الجدوى من سك هذه العملات وطرحها الى اسواق لا تتعامل بها؟ ولماذا تم هدر اكثر من ثلاثة عشر مليون دولار كلفة سكها؟ ومن المسؤول عن اتخاذ مثل هذه القرارات؟ انه مجرد سؤال يفرض نفسه بقوة!

تحت الضوء

العمارة من الداخل

يرى من الداخل وعلى ارتفاع ستة امتار صف من الانحناءات تدور حول الجدران الاربعة يبلغ عددها اثنتي عشرة حنية في كل جدار ثلاث انحناءات الحنية الوسطى متوجة بعقد مفصص ومحمول على عمودين مندمجين من الجص اما الحنيتان الاخريان المحيطتان بها فهما متوجتان بعقدين مدبيين.

يلغو صف الحنايا هذه نص قراني يلف حول جدران القاعدة الاربعة وبموازاة الانحناءات. تلي النص القراني حنايا منطقة انتقال القبة في الصف الاول تجد في كل زاوية حنية عميقة يحف بها نصفاً حنيتين بين حنايا زاوية واخرى حنية كبيرة مسطحة ،الغرض منها زخري ولاشغال الفراغ الحاصل بين حنايا زاوية واخرى،يليهها صف اخر من الحنايا،حنية في كل زاوية ترتكز على الحنية السابقة وبين كل حنية زاوية وثلاث حنايا،فتحت الوسطية كنافذة.

يلي هذا الصف شكل نجمي ذو ستة عشر راسا حيث تقوم بعده القبة القريبة من النصف كرة تتوسط باطنها دائرة(على شكل طرة) قسمت الى مناطق تتضمن الاية القرآنية نفسها،وهي عثمانية اذ نجد ماينظرها في باطن قبة مصلى الحضرة الكيلانية،غير ان التي في باطن قبة السهروردي اقدم واجمل.

العمارة من الخارج

ان تخطيط القبة من الخارج مربع تقريبا ابعاده تتراوح بين ٢٠,٧- ٥٠,٧ متر وارتفاعها حوالي ٧٠,٧ متر غير ان ارتفاعها من الداخل اكثر ،بذلك لان ارضية القبة قد حافظت على مستواها من الداخل بينما ارتفعت من الخارج بسبب عمليات الدفن حول القبة.

لقد تسببت اعمال الصيانة والاصلاح في قاعدة القبة(البدن) في طمس الزخارف الحصرية التي تعد من اجمل الزخارف وابدعها وخاصة الجدارين المطلين على المقبرة،ولا تزال بعض الزخارف موجودة اعلى جدران المدخل الرئيس وهي عبارة عن انحناءات (حنايا) ملئت بزخارف هندسية وخطوط متكرسة تتألف من اشكال زخرفية كما ان هنالك زخارف نباتية عملت بواسطة الحفر في الاجريلوها شريط كتابي عرضه ٦٥ سم والنص معمول بواسطة الاجر على ارضية الزخارف النباتية الدقيقة الصنع.

تنتصب القبة المخروطية المقرنصة على القاعدة وهي تتألف من عشرة صفوف ،الصفوف الستة الاولى تتألف من ست عشرة انحناءة متحدة من الخارج وبين كل حنية واخرى نصف منشور رباعي كما يفصل بين كل صف واخر صف من المنشورات الرباعية. تلي الصف السابع ثمانية بروزات كتلك الموجودة في قبتي زمرد خاتون والكفل وهي اشبه ماتكون بمنطقة انتقال من الشكل ذي الستة عشر راسا الى الثمانية رؤوس في الصفوف الثلاثة الاخيرة، ثم تنتهي في القبة المضلعة.

السؤال الاخير

كان علي ان ابحت عن دائرة الشؤون الهندسية التابعة لديوان الوقف السني،ولم يكن الوصول اليها سهلاً ولكن صاحبي سوء الحظ ايضاً ولم يعطيني أي من المهندسين هناك اية معلومات عن اعمال الصيانة التي قيل انها حدثت ، وكانها امر خطير يمنع التحدث به!، لقد عارضت منظمة اليونسكو مشروع الحكومة المصرية ببناء طريق سريع قرب الاهرامات لأنها تمثل صرحاً عالمياً ،لايهم مصر وحدها ،وتذكرت انني مرة قرأت عن برج بيزا وكيف اهتم العالم بأسره بمسألة ميلانه الشديد،وقد قام المهندسون ببربطه في مناطق معينة بقلابولت من الحديد مثبتة الى الارض، عكس الجهة التي يميل اليها ثم سحبها شيئا فشيئا مع ازالة قسم من التربة وابداله بطبقة سميتية الى القاعدة ودعمها بالواح معدنية وبعد ذلك تتم ازالة القلابولت الامالة ومع انهم لم يصححو الامالة الى حد بعيد ولكنهم في الاقل حافظوا على بقاء برج بيزا المائل لقرون اخرى فماذا فعلنا نحن مع قبة السهروردي؟

لمعالجة هذا الميل.

وعن القبة وميلانها قال الدكتور حميد محمد: قبة السهروردي واحدة من اهم القباب في تلك الفترة السلجوقية وقد حدث فيها ميل نحو الجنوب الشرقي بسبب طبيعة التكوينات الارضية واتجاه الريح التي تهب من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي وهو امر يحصل في العديد من المآذن والقباب المماثلة.

* متى تم تشييدها؟

– تاريخ تشييدها قد يعود الى سنة ٧٥٣ هجرية- ١٣٣٤ ميلادية استنادا الى الكتابات الموجودة فوق مدخل القبة على البدن الكامل او قاعدة القبة ،مكتوبة بخط الثلث. وثمة قباب مماثلة لها منها قبة ذي الكفل في محافظة بابل وهي مناظرة لها تماما وكتلتها بعد تعودان تقريبا الى فترة زمنية قديمة.

اختلافات

هل بنيت القبة في وقت الدفن نفسه؟ من الصعب معرفة ذلك. لقد اعتمد البعض على ماذكره المؤرخ البغدادي احمد بن عبد الله المتوفى سنة ١١٠٢ هجرية- ١٦٩١ ميلادية حيث قال عند ترجمته للسهروردي في حوادث عام ٦٣٢ هجرية"ولما توفي دفن قريبا من الباب الوسطي داخل بغداد على قبره ميل"وهذا المؤرخ متأخر وليس فيما يقول أي دليل على عائدية القبة الى سنة ٦٣٢ هجرية" وقد يكون المشرف على بنائها جمال الدين عبد الرحمن بن عبد المحمود بن عبد الرحمن بن ابي جعفر محمد بن الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي المقتول سنة ٧٣٧ هجرية حيث انه كان ناظر اوقاف العراق وتزوج بنت رشيد الدولة الوزير فعضم شانه"(ابن حجر العسقلاني)في الدرر الكامنة).

لقد راى الدكتور مصطفى جواد ان الكتابة على مدخل القبة تشير الى تجديد التربة من قبل الوزير محمد بن رشيد فيقول "ولعل بعضها كان قد انهدم ثم تم تجديده".

مقفولة لا تفتح الا ايام المناسبات ويصل بيتها وبين غرفة القبر مدخل ذهبت بمعاله الاصلية اعمال الترميم والتجديد!

المدخل الرئيس

كانت هنالك كتابات موجودة فوق مدخل القبة وعلى قاعدتها الحاملة لها مكتوبة بخط الثلث "بسم الله الرحمن الرحيم ،الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، جدد هذه العمارة المبارك.... لضريح الشيخ القدوة الرباني قطب الاولياء والعارفين شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي،روض الله مرقده محمد بن الرشيد". اما النص على قاعدة القبة فهو" بسم الله الرحمن الرحيم،فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الله الارض بعد موتها،ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير" نامر بتجديده بعد دشوره..... واندرست عبارة "محمد بن الرشيد سنة ٧٣٥".

في هيئة الآثار والتراث

سوف اورد الاجوبة التي كتبها الاستاذ في هيئة الآثار التي تبين فيما بعد انها مبتسرة و لم تكن كافية لتبيين كل شيء او توضح ماسبب الميلان في تلك القبة وماهي الاجراءات التي قامت بها الهيئة في المكاتب الاستشارية؟ قال الدكتور حميد محمد وهو استاذ يعمل في هيئة الآثار والتراث"ان الشيخ عمر السهروردي المتوفى في عام ٦٣٢ هجرية والمدفون في مقبرة تجاور الجامع تسمى مقبرة الوردية في تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية ،ومن ابرز معالمها تلك القبة المخروطية التي تعود الى الفترة السلجوقية والتي يوجد مايشابهها في بغداد كضريح الست زبيدة(قرب مطار المثنى)ومرقف ذي الكفل وقبة الحسن البصري في الزبير، وعن اعمال الترميم السابقة قال:

لقد مرت على القبة اعمال ترميم وصيانة في فترات مختلفة وبعد حدوث الميل الحاصل فيها وضعت عدة دراسات في دائرة الآثار والتراث والمكاتب الهندسية الاستشارية

